# النظريات والمقاربات الاساسية في دراسة وتحليل التغيير والتحول في النظام الدولي
## (دراسة مقارنة بين الواقعية والليبرالية والبنائية)

أ.م.د. حيدر زاير العامري
كلية العلوم السياسية-جامعة الكوفة

**الملخص**

لقد تعددت النظريات التي حاولت تفسير التغيير والتحوّل في العلاقات بين الدول، تلك العلاقات المتعددة والمتنوعة والمتباينة سواءً بأشكالها التصارعية أو التنافسية أو التعاونية أو التكاملية ، إذ حاولت تلك النظريات معرفة وتوضيح الآلية أو الطريقة التي تطرأ على تلك العلاقات الدولية وتتسبب بتغييرها أو تحوّلها من حالة الى أخرى خلال فترات زمنية متفاوتة .

إنَّ تلك النظريات لم تقتصر على دراسة تلك التغيّرات والتحولات في تلك العلاقات وحسب، بل حاولت التنبؤ بمستقبل تلك العلاقات ومآلاتها وتحولاتها، إذ أنَّ هنالك عدد من النظريات (أو المقاربات – Approaches) القديمة والجديدة التي حاولت دراسة وتحليل تلك التحولات في العلاقات الدولية كالنظرية الواقعية والنظرية المثالية والنظرية النسوية والنظرية الخضراء والنظرية (أو المدرسة) الإنكليزية وغيرها من النظريات او المقاربات، وكانت النظرية البنائية (او كما يسميها بعض المتخصصين بالمنهج البنائي) من بين تلك النظريات الحديثة المهمة التي حاول المتخصصون في مجال السياسية الدولية

توظيفها في فهم وتحليل التغيّر والتحوّل في العلاقات بين الدول، ودراسة واقع ومستقبل النظام الدولي.

لقد أسهمت النظرية البنائية أو المنهج البنائي – كمنهج حديث أو كنظرية معاصرة– بصورة واسعة في دراسة وتحليل العلاقات بين الدول وما يطرأ عليها من تحولات أوتغيّرات، كالحال في دراسة وتحليل التحوّل في العلاقات بين فرنسا والمانيا بعد الحرب العالمية الثانية من حالة الصراع الى حالة التعاون أو التكامل ، فضلاً عن نماذج أو تطبيقات أخرى في العلاقات بين الوحدات الدولية والتي يمكن دراستها وتحليلها وفقاً لتلك النظرية، كما لا يقتصر تطبيق المنهج البنائي على العلاقات بين القوى الكبرى والعظمى الفاعلة في النظام الدولي وحسب ، بل يمكن تطبيقه على جميع الوحدات الدولية الأخرى الوسطى والصغرى في النظام الدولي وما تشهده تلك الوحدات من تغيّرات أو تحولات في علاقاتها ، وهناك نماذج عديدة في تغيّر أو تحوّل العلاقات بين الدول من حالات الصراع الى التعاون أو التنافس أو التكامل، والعكس أيضاً، فعلى المستوى الدولي يمكن الإشارة الى التحوّل في العلاقات بين الدول الاوربية بعد الحرب العالمية الثانية من حالة الصراع الى حالة التعاون ، ولاسيما بين فرنسا والمانيا وبريطانيا وقيام الاتحاد الأوربي بعد ذلك ، وعلى المستوى الإقليمي يمكن تناول العلاقات بين ايران والعراق أو بين العراق والكويت بعد عام ٢٠٠٣،والتي تمثّل أنموذجاً واضحاً يمكن دراسته وتحليله وفقا للمنهج البنائي .

كلمات مفتاحية : البنائية ، التعاون ، الصراع ، التكامل ، التغير

**Abstract**

There have been many theories that have attempted to explain the change and transformation in the relations among states, those multiple, diverse, conflictual, competitive, cooperative and complementary relations.

Those theories were not limited to study these transformations and changes in those relationships only, but also tried to predict the future of those relationships, their fate and transformations, as there are a number of old and new theories (or approaches) that tried to study and analyze those transformations in international relations such as the theory Realism, idealist theory, feminist theory, green theory, and English theory

Among the most important foundations of this theory is that relations between states are based on the cultural variable or identity as an independent variable that influences and directs those relations, and that what results in the international system of conflict, competition, cooperation or integration is a dependent variable. (Dependent variables) of that independent variable, contrary to what theorists believe in the realist or idealist school.

The (constructivist theory or the constructivist approach) can be applied in the study and analysis of most relations among states and the transformations and changes that occur to them, such as studying the transformation in relations between France and Germany after World War II from a situate of conflict to a case of cooperation, as well as other models that can be applied that theory on its, such as relations between Iraq and Iran, or Iraq and Kuwait .

key words ;Constructive , cooperation , conflict , modification , integration.

**المقدمة**

لقد أولى الباحثون والمفكرون المتخصصون في مجال علم السياسة اهتماما كبيراً في دراسة العلاقات الدولية كحقل معرفي مهم من حقول المعرفة السياسية ، وحاولوا فهم وتحليل ما طرأ عليها من تحولات وتغيرات ، إذْ شغلت الدراسات والبحوث المتعلقة بالنظام الدولي وتغيراته وتحولاته حيّزاً كبيراً من تلك الدراسات والبحوث ، منذ تشكّل الوحدة الأساسية الحديثة ( الدولة

القومية )[١] التي شكّلت الأساس الذي قام عليه النظام الدولي واذا كان النظام الدولي – " كما يُعرّفه نورمان بارلفورد وجورج لنكولن بأنّه عبارة عن ترتيب العلاقات بين الدول في وقت معيّن "[٢] ، لذلك فانَّ دراسة التحوّل أو التغيير في العلاقات الدولية يعني دراسة واقع النظام الدولي والتغيرات والتحولات التي يمكن أن تطرأ عليه في حقبة زمنية محددة وبُنِيت على أساسها العلاقات في ذلك النظام وحتى الوقت الحاضر .

لقد تطوّر وتوسّع ذلك النظام بصورة تدريجية بعد مؤتمر ويتسفاليا ١٦٤٨ [٣] الذي أدّى الى ظهور الدول القومية في الجزء الغربي من القارة الاوربية ، والملاحظ أننا نطلق على ذلك النظام بأنه نظاماً دولياً كتعبير مجازي، في حين ان الواقع التاريخي يشير الى ان ذلك النظام لم يكن نظاما دوليا (عالمياً ) وانما كان محدداً بجغرافية محدودة وهي الجزء الغربي من القارة الاوربية ،

---

**[١] الدولة :هي ظاهرة تاريخية سياسية اجتماعية هناك تعريفات متعددة للدولة البعض عرف الدولة بانها التجسيد القانوني لامة ذات سيادة او مجموعة الافراد المنتظمة في وسط اجتماعي تسيطر عليه سلطة سياسية منبثقة من هذا المجتمع و تتميز بقدرة اصدار القوانين و اتخاذ القرارات التي من شانها تغير حياة المجتمع .هذا التعريف ينظر للجانب السياسي القانوني للدولة لقد مثلت الدولة بمفهومها الحديث حالة من حالات التطور الإنساني و شكلت الوحدة الوحيدة او الرئيسة للنظام الدولي و بقيت هي الوحدة الأهم في دراسة النظم السياسية و العلاقات الدولية لحد الان .كما ان هناك من يطرح تساؤلات عديدة حول المعنى الحقيقي للدولة هل هي فاعل (بيروقراطي ) كما يطرح هذا المفهوم ماكس فيبر او هي ممثلة لكل فئات المجتمع كما يطرح بعض الفلاسفة و منظري العقد الاجتماعي او هي حالة صراع بين فئتين متمايزتين هما السلطة و المجتمع كما يطرح الماركسيون .وان علاقة الدولة (السلطة) بالمجتمع تحدد تنوع الدول واختلافها فهناك دول ديمقراطية و دول غير ديمقراطية و هناك دول ملكية و اشتراكية و غير ذلك من التوصيفات ، أي بمعنى ادق بإمكاننا وصف الدولة من خلال تلك العلاقة .ينظر: جوزيف فرانكل ، العلاقات الدولية، ط ٢، المملكة السعودية ، جدة: ١٩٨٤، ص ١٥.**

**(٢) ينظر : سعد حقي توفيق ، مبادئ العلاقات الدولية ، ط ٣، الأردن : دار وائل للنشر ، ٢٠٠٦، ص ٤٣.**

**(٣) جون بيليس و ستيف سميث ، عولمة السياسة الدولية ، ترجمة : مركز الخليج للأبحاث ، الامارات العربية المتحدة : ٢٠٠٤، ص ٤١.**

ولذلك من الاصح ان نطلق عليه النظام الاوربي ،والذي تطور وتحوّل فيما بعد الى نظاماً دولياً ، وقد كانت نقطة التحول في ذلك النظام هي مشاركة الدولة العثمانية في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ مع الدول الاوربية المتصارعة ، وهي اول دولة تدخل في التحالفات والتوازنات الاوربية من خارج العالم المسيحي ، ثم تلتها تطورات كبيرة شهدها النظام الدولي ، ولاسيما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، والزيادة الكبيرة في عدد الوحدات الدولية المستقلة، وانبثاق عصبة الأمم كتنظيم جامع للقوى الكبرى، ثم تلاها بعد ذلك قيام منظمة الأمم المتحدة كمنظمة عالمية جامعة للدول وشاملة لكل قارات العالم لتُضفي تلك التغيرات والتحولات على النظام صفة الدولية.

إنَّ التزايد الكبير والواسع في عدد الوحدات الدولية تسبب في زيادة التفاعلات الدولية، وأدّى الى ظهور أنماط متنوعة ومتغيّرة من العلاقات بين تلك الوحدات، وقد دفع ذلك الكثير من الباحثين والمهتمين في دراسة وتحليل العلاقات الدولية والنظام الدولي الى ضرورة التفكير بمناهج أو مقاربات أو نظريات جديدة تساعد على إيجاد قوانين شاملة تُسهم في دراسة وتحليل تلك العلاقات وتساعد على التنبؤ في مستقبل العلاقات بين تلك الدول، وكذلك محاولة إستشراف مستقبل النظام الدولي، حيث لم تعد المقاربات او النظريات التقليدية كافية أو قادرة على إعطاء تفسيرات شاملة ووافية لما يشهده ذلك النظام من تغيرات أو تحولات، وكان من بين تلك النظريات الحديثة هي النظرية البنائية، والتي تختلف في كثير من مرتكزاتها واسسها عن المناهج والنظريات القديمة المتمثلة بالواقعية والليبرالية (المثالية)[٤].

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦.

ويمكن دراسة وتحليل موضوع البحث من خلال تحديد أهمية البحث وكذلك الإشكالية التي يثيرها البحث والفرضية التي يمكن الانطلاق منها الباحث وكما يأتي :-

**أهمية البحث:** أن البحث في النظريات والمقاربات لها في علم السياسة بصورة عامة، وفي مجال العلاقات الدولية بصورة خاصة، له من الأهمية الكبيرة في دراسة السياسات الدولية والعلاقات بين وحدات النظام الدولي المتعددة ، كونها تمثل إطارا نظريا عاما وشاملا حول النظام الدولي، إذ أن تلك المقاربات والنظريات تساعد الباحثين والمتخصصين في علم السياسة في إيجاد قواعد عامة شاملة لها والتي يمكن الاعتماد عليها في دراسة وتحليل النظام الدولي وتغيراته وتحولاته ، فضلا عن التنبؤ بمآلاته المستقبلية.

**إشكالية البحث:** ينطلق البحث من إشكالية مهمة وهي أن هنالك تغيرات وتحولات عديدة شهدها النظام الدولي منذ تشكّله وحتى الوقت القائم ، وهذه التحولات نابعة من تغير العلاقات بين القوى الدولية الفاعلة والمؤثرة في ذلك النظام، والاإشكالية المهمة التي يمكن ان يثيرها البحث وذلك من خلال التساؤلات الاتية:

١. ماهي القواعد أو النظريات التي يمكن من خلالها دراسة تلك التحولات في النظام الدولي، والتي من خلالها يمكن فهم ودراسة وتحليل تلك التحولات والتنبؤ بها أولاً؟
٢. وكذلك التساؤل الآخر المطروح وهو هل يمكن الاعتماد على نظرية واحدة والاكتفاء بها لتحليل ودراسة النظام الدولي، أم لابدَّ من تعدد النظريات التي تفسر تلك التحولات والتغيرات في العلاقات بين الدول

ومن ثم التغيّر والتحوّل في النظام الدولي، أي لابد من من الاعتماد على أكثر من نظرية واحدة لدراسة وتحليل ذلك النظام .

**فرضية البحث:** ينطلق البحث من فرضية مفادها أن هنالك عدد من النظريات التي طرحها الباحثون والمفكرون في مجال الدراسات الدولية لفهم وتحليل النظام الدولي وتغيراته وتحولاته، ومن بين تلك النظريات أو المقتربات هنالك ثلاث نظريات رئيسية ومهمة :أثنان منهما يُعدّان من النظريات التقليدية وهما النظرية الواقعية والنظرية المثالية (أو التي تُسمى الليبرالية)، وهناك نظرية حديثة مهمة وهي النظرية البنائية، وانَّ جميع النظريات الثلاثة مهمة في دراسة وتحليل النظام الدولي وتغيراته وتحولاته، كما أن النظرية البنائية (الحديثة) تُعد من بين أهم تلك النظريات التي لايمكن للباحثين تجاوزها أو تجاهلها في دراسة وفهمذلك النظام الدولي وتغيراته وتحولاته.

**منهجية البحث: لقد** اعتمد البحث على كل من المنهج الاستنباطي ( deductive method) وذلك عند تعميم المفاهيم او السمات الكلية العامة للنظريات في مجال الدراسات الدولية والنظام الدولي في التطبيقات او الحالات الجزئية الخاصة او التنبؤ بمستقبل ذلك النظام، وكذلك تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي (inductive method) في حال التعميم او اثبات القواعد العامة في وصف النظام الدولي القائم، فضلا عن ذلك ارتكز البحث على عدد من المداخل والمقتربات، ومن أهمها المقترب التاريخي والتحليل النظمي والمقارن في محاولة فهم وتوضيح اهم نقاط الالتقاء والاختلاف بين النظريات الأساسية في مجال النظام الدولي والتغيرات او التحولات التي شهدها ذلك النظام.

ويمكن دراسة وتحليل ذلك التغيير و التحوّل في النظام الدولي والعلاقات بين وحداته من خلال ما يأتي:

**أولاً:- مفهوم النظام الدولي وعوامل التغيير والتحوّل :-**

تتعدد معاني النظام في لغةً واصطلاحاً، وقد تنوعت معانيها في المعاجم اللغوية، وكلها تشير الى معاني متقاربة، أما المعنى المُراد من النظام هنا فهو المعنى الاصطلاحي، فالنظام[٥] اصطلاحاً" هو عبارة عن كيان عام تتداخل عناصره ومكوناته على نحو يجعله يتفاعل ويتبلور في النهاية على صور أخرى ،اما النظام الدولي هو عبارة عن وحدات سياسية تتفاعل فيما بينها وقد تكون دول او منظمات او جماعات او حركات تتفاعل فيما بينها ثم طرأت تطورات فيما بعد على مصطلح النظام الدولي وأُطلق عليه مصطلح النظام الدولي الجديد والذي شاع بعد عام[٦]١٩٩١"، ولذلك فالنظام الدولي يمثل البيئة العامة او الشاملة لجميع التفاعلات بين الوحدات الدولية المتعددة والمتنوعة، ولذلك يُعرّف (راندال شويللر – Randall Schweller) النظام الدولي بانه مجموعة من العناصرالتي تتفاعل لتشكل كُلاً متكاملاً او مجموعة " [٧] .

إنَّ ظهور الوحدات الدولية (الدولة القومية )[٨] أدى الى تطورا كبيرا في مفهوم النظام الدولي ، كما ان طبيعة العلاقة أو التفاعل بين تلك الوحدات هي التي تشكّل منها ذلك النظام وهي التي حددت تغيراته و تحولاته ، ولذلك برزت مفاهيم جديدة في دراسة النظام الدولي ومنها مفهوم العلاقات الدولية [٩]، إذ انَّ

---

**(٥) النظام في اللغة من كلمة نظم وقد ورد نظم اللؤلؤ ومنها نظم الشعر ترادف مع كلمة النظام مفردات أخرى مثل ( النسق ) وهو يعني ترتيب الأشياء على طريقة واحدة . ينظر : almaany.com/ar/dict/ar-ar.**

**(٦) جهاد عودة، النظام الدولي النظريات والاشكاليات ، القاهرة : دار الهدى، ٢٠٠٥، ص ١٠.**

**(٧) Randall Schweller, Deddly Imblances ، نقلا عن عمار كريم حميد ، ديناميكيات القوى الصاعدة ، بيروت : مركز الرافدين للحوار ، ٢٠٢١، ص ٦٩.**

**(٨) مارتن غريفيش و تيري أوكالاهان ، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية ، ترجمة : مركز الخليج للأبحاث، الامارات ، ٢٠٠٢، ص ١٩١.**

**(٩) جوزيف فرانكل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠.**

اول من كتب في حقل العلاقات الدولية هو ( إي إيتش كار ) وذلك بكتابه (ازمة العشرين عاماً) و الذي صدر عام ١٩٣٩، ثم كتاب المفكر (هانزمورجنثاو ) والذي صدر عام ١٩٤٨ والذي حمل عنوان (السياسة بين الأمم)، وكلا المؤلفان أوليا اهتماماً كبيراً في دراسة واقع النظام الدولي وطبيعة العلاقات بين الدول، ثم تطورت لاحقاً الدراسات التي اهتمت بالنظام الدولي وتغيراته وتحولاته، وظهرت العديد من النظريات والمقاربات التي حاولت دراسة ومعرفة أسباب تلك التحولات و التغيرات [١٠].

يمكننا القول بانَّ التنوّع الكبير و التعددية الواسعة في تلك الدراسات او النظريات التي اهتمّت بدراسة وتحليل النظام الدولي تعود لاسباب متعددة ، ومن بين أهم تلك الأسباب[١١]:

١- الزيادة الكبيرة في عدد الوحدات الدولية والتي قاربت ال (١٩٤) دولة ذات سيادة ،والتي أدّت الى زيادة التفاعلات بينها ، فضلاً عن سِمة الشمولية والتنوع وعدم التجانس لتلك الوحدات.

٢- أهمية دراسة النظام الدولي وتفاعلاته وتحولاته للمتخصصين والباحثين في مجال علم السياسة، ولاسيما في حقل الدراسات الدولية.

٣- كثرة الصراعات والحروب بين الوحدات الدولية وما خلفته وتخلفه تلك الصراعات والحروب من تخريب ودمار، والتي اثرت على حالة الاستقرار في ذلك النظام، ولاسيما ما حدث في القرن العشرين واندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية.

---

**(١٠) خليل حسين ، العلاقات الدولية : النظرية – الواقع – الأشخاص – القضايا ، بيروت : منشورات دار الحلبي ، ٢٠١١، ص ١٥.**

**(١١) ينظر : سعد حقي توفيق مصدر سبق ذكره ،ص ٤٤.**

٤- تنوّع الخلفيات الفكرية _الآيديولوجية للباحثين والمتخصصين في النظام الدولي، ولاسيما بعد ظهور الفكر الاشتراكي _ الماركسي في مواجهة الفكر الليبرالي _الرأسمالي، وما رافقه من صراعات واستقطاب مابين التيارين الفكريين الرئيسيين، إذ ظهر عدد من المفكرين المنتمين لتلك التيارات الفكرية المتصارعة، وحاول كل منهم تفسيروتحليل النظام الدولي والعلاقات بين وحداته وفقا لتلك التوجهات الفكرية – الأيديولوجية ، وهذا ما توضّح أكثر في حقبة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي .

٥- التأثير الكبير للبيئة الجغرافية التي ينتمي اليها أولئك الباحثين، ولاسيما ما تعرّضت له وما عانته تلك البيئات من أزمات اجتماعية – سياسية- اقتصادية كبرى، أثرت بشكل كبير على المتبنيات الفكرية وتوجهات أولئك المفكرين .

كل تلك الأسباب وغيرها تسببت بتعدد النظريات و المقاربات التي حاولت تفسير التغيّر والتحوّل في النظام الدولي، وأصبحت هناك نظريات او مقاربات واقعية، وفي مقابلها النظريات او المقاربات الليبرالية أو المثالية، ثم طوّر الباحثون والمتخصصون تلك النظريات او المقاربات وأصبحت هناك واقعية جديدة ومثالية جديدة ، ثم برزت بعد ذلك نظريات او مقاربات حديثة حاولت فهم وتفسير التغيّرات والتحولات في النظام الدولي بطريقة او بآلية مختلفة او مغايرة للطريقة التي اعتمدتها النظرية الواقعية او المثالية، فكانت النظرية او المقاربة البنائية هي من بين تلك النظريات الحديثة التي طرحها عدد من المفكرين في تفسير وتحليل التغيرات والتحولات في النظام الدولي والعلاقات بين الوحدات الدولية .

**ثانياُ :- المناهج او المقاربات التقليدية في دراسة وتحليل التغيير والتحول في العلاقات الدولية والنظام الدولي :-**

لقد تزامن مع ظهور وتطور العلاقات بين الوحدات الدولية وقيام النظام الدولي نظريات تقليدية حاولت دراسة وتحليل ذلك النظام ، ومعرفة الأسباب الكامنة وراء التغّيرات أو التحولات التي تعرّض لها، فكانت المدرسة او المقاربة الواقعية ( Realist approach)[١٢] من أولى تلك النظريات في هذا المجال ،إذ تُعد المدرسة الواقعية من بين اقدم المدارس او المقاربات ، ويرجعها البعض الى المؤرخ الاغريقي ثيوسيديس ( ١٤٦٠ ٣٩٠ ق.م ) [١٣]، ثم برز كُتّاب اخرون في العصر الحديث ، ومن اشهرهم نيكولا ميكافيلي وكارل فون كلاوتس فيتز و غيرهم [١٤]، وقد تناول أولئك المفكرون تحليل التحوّل و التغير في العلاقات بين الدول و النظام الدولي وفقا للمنهج او للمقاربة الواقعية وحاولوا تفسير تلك التحولات و تلك التغيرات في العلاقات بين الدول و التغيرات و التحولات التي شهدها ذلك النظام .

لقد ارتكزت المدرسة الواقعية على مفاهيم أساسية ومن أهمها هي ان الساحة الدولية تشكل حالة من الفوضى القائمة على العنف و الصراع بين وحداته[١٥] ، وان ذلك الصراع يرتكز على القوة لتحقيق المصلحة [١٦]، وان تحقيق سيادة

**(12) Kenth Waltz, theory of internationational politics, Addison – Wesly publishing company, London, 1979, p.p. 62.S**

**(13) Stephen Mc Glinchy, Roise Waiters and Christian Scheinpflug,International Relations Theory, England;Brisol,2017, p. 15.**

**(١٤) ينظر: تيم دانا و ميليا كولجر ،نظريات العلاقات الدولية ، ترجمة : ديما الخضرا ، قطر : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ٢٠١٦ ، ص ١٦٣**

**(١٥) أنور محمد فرج ، النظرية الواقعية في العلاقات الدولية ، السليمانية : مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٠٧، ص ٢١٧.**

**(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٣**

الدولة و استمرارها يمكن تحقيقه عن طريق السعي الدائم والمستمر للدولة الى المزيد من القوة ، و يرى الواقعيون بأن تعزيز القدرات العسكرية و التحالفات هما الركيزتان الاساسيتان لتحقيق ذلك الامن ، فالنظرية او المقاربة الواقعية ترى ان تحقيق المصلحة يتم عن طريق القوة وان تلك المصلحة مقدمة على المبادئ الأخلاقية، كما ان اعتبارات او مفاهيم العدالة غير مناسبة في السياسة الخارجية لتلك الدول [١٧] ، ولذلك يمكن القول ان النظرية او المقاربة الواقعية ارتكزت على المصلحة و القوة في بناء العلاقات بين الوحدات الدولية [١٨]، و ان سِمة النظام الدائمة هي الفوضى وحالة الصراع الدائم [١٩] ، وهذا ما أشار اليه الباحث " (كولين هاي Colin Hay) بأن الامن والسيادة والمصلحة القومية وسياسة القوة هي المفاهيم الأساسية للواقعية "[٢٠].

و يمكن توضيح مرتكزات النظرية الواقعية في تفسير التغيير والتحوّل في العلاقات بين الدول وكذلك في تحليل النظام الدولي من خلال المخطط التالي :-

"مرتكزات النظرية الواقعية في دراسة وتحليل العلاقات الدولية والنظام الدولي "

* **المخطط من إعداد الباحث**

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٥

(18) Stephen Mc Glinchy, Roise Waiters and Christian Scheinpflug,op.cit, p. 21.

(١٩) مارتن غريفيش و تيري أوكالاهان ،مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥٣.

(٢٠) أنور محمد فرج، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٨.

اما النظرية او المقاربة الأخرى التي تكون مقابلة للمقاربة الواقعية فهي النظرية الليبرالية (المثالية) والتي تكون معاكسة لأهم مرتكزات النظرية الواقعية، فيرى الليبراليون بأن بيئة النظام الدولي يمكن ان ترتكز على التعاون والعقلانية وانسجام المصالح والابتعاد عن حتمية الصراع التي فرضتها المدرسة الواقعية التي بالغت في وصف الطبيعة الإنسانية بانّها طبيعة شريرة وغير خيّرة[٢١]، ويُعد الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت وريتشارد كويدن وجون هوبسون من ابرز الداعين الى المنهج المثالي او الليبرالي في دراسة و تحليل العلاقات بين الدول والتنبؤ بمستقبل النظام الدولي[٢٢]، كما يرى أولئك المفكرون بأن تلك العلاقات بين الوحدات الدولية يمكن ان تُنظِّم عن طريق المؤسسات الدولية كالمنظمات الدولية وغيرها [٢٣].

**مرتكزات النظرية الليبرالية (المثالية) في دراسة وتحليل العلاقات الدولية والنظام الدولي**

***المخطط رقم (٢) من إعداد الباحث**

---

[٢١] **المصدرالسابق ، ص ٢٦٩.**

**(٢٢) مارتن غريفيش و تيري أوكالاهان ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦١**

[23] **Stephen Mc Glinchy, Roise Waiters and Christian Scheinpflug,op.cit, p.22.**

لقد شهد النظام الدولي فيما بعد تطورات مهمة ، ولم تكن المدرسة او النظرية الواقعية القديمة (التقليدية) والليبرالية قادرة على دراسة وتحليل تلك التغيرات، ولذلك حاول المتخصصون في مجال العلاقات الدولية تطوير تلك المقاربات او النظريات من اجل مواكبة تلك النظريات للتحولات او التغيرات التي شهدها النظام الدولي ، فبرزت اتجاهات متطورة وجديدة في تلك النظريات أُطلُق عليها الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة [٢٤]، وقد ظهرت هذه الاتجاهات الحديثة بسب إعتقاد عدد كبير من الباحثين بعدم إمكانية أي من المقاربتين الواقعية أو المثالية الكلاسيكية بإعطاء تحليل أو تفسير شامل للتغيير في العلاقات بين وحدات النظام الدولي، وكذلك التحوّل في ذلك النظام الدولي، فضلاً عن الصعوبة البالغة في القدرة على التنبؤ بمستقبل ذلك النظام.

استندت الواقعية الجديدة على نفس أسس الواقعية التقليدية، مع فرض تغييرات في تلك الأسس ولكنها تغييرات غير جوهرية ، والتي من أهمها هي أن بنية النظام الدولي هي التي تؤثر في سلوك الفاعليين الدوليين وليس الدول فقط [٢٥]، وكذلك الحال بالنسبة للمقاربة او النظرية المثالية فهي ارتكزت أيضا على نفس الأسس التي إعتمدتها المقاربة الليبرالية ، ولكن مع تغييرات غير جوهرية، ولذلك لايمكن القول بان تلك المقاربات او النظريات هي نظريات جديدة ،وانما هي تطوير او تحديث للواقعية التقليدية والليبرالية التقليدية، ومن هنا أُطلق عيها الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة.

---

**(٢٤) للتفصيل أكثر عن مفهوم القوة الذي يُعد من المرتكزات الاساسية في المدرسة الواقعية والتحول في في ذلك المفهوم ،ينظر :- جوزيف ناي ، مستقبل القوة ، ترجمة : السيد أمين الشلبي ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥، ص ٣٩ .**

**(٢٥) عمار كريم حميد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦.**

ويمكن وضيح أهم نقاط الاختلاف مابين الواقعية والواقعية الجديدة وكما يأتي:-

| ت | الواقعية التقليدية | الواقعية الجديدة |
|---|---|---|
| ١ | **الطبيعة الإنسانية طبيعة شريرة وانانية وتحكمها المصلحة .** | **الطبيعة الإنسانية طبيعة شريرة ، ولكن يمكن تقييدها** |
| ٢ | **الفوضى هي سمة دائمة للنظام ولايمكن تنظيمه** | **الفوضى هي سمة دائمة للنظام ولكن هناك إمكانية للتنظيم** |
| ٣ | **الصراع وعدم التعاون هو السمة الدائمة** | **الصراع هو السمة الدائمة للنظام ولكن يمكن تحقيق التعاون والتعايش** |
| ٤ | **المصلحة هي الهدف وتتحقق عن طريق كسب المزيد من القوة** | **المصلحة هي الهدف أيضا ولكن بالإمكان تحقيقها بوسائل أخرى** |
| ٥ | **الوحدة الدولية هي الأساس في دراسة وتحليل النظام الدولي ، والسلطة أو الحاكم هو من يقرر مصلحة تلك الدولة.** | **النظام الدولي او بنية النظام هي الأساس في التحليل ، وحركة الوحدة الدولية (الدولة ) تتم على أساس موقعها في النظام وتاثرها فيه .** |
| ٦ | **الواقعية التقليدية واحدة وغير متعددة** | **الواقعية الجديدة متنوعة فأما دفاعية( محافظة) أو هجومية( تعديلية )** |
| ٧ | **يُعد ميكافيللي وإيتش كار وهانز مورجنثاو من أبرز رواد الواقعية** | **يُعد جون مير شايمر وكينث والتز من أبرز المنظرين للواقعية البنائية أو الوقعية لجديدة** |

***الجدول من اعداد الباحث**

أما نقاط الاختلاف بين الليبرالية والليبرالية الجديدة فيمكن توضيحها من خلال جول المقارنة وكما يلي :-

| ت | **الليبرالية** | **الليبرالية الجديدة** |
|---|---|---|
| ١ | **الطبيعة الإنسانية خيرة** | **الطبيعة الإنسانية خيرة ، ولكن هناك مجال لقيام الصراعات** |
| ٢ | **حقوق الافراد ومصالحهم هي الأساس** | **حقوق الافراد مهمة ولكن لايمكن اغفال بنية النظام ودوره في التفاعلات الدولية** |
| ٣ | **النظام هي السمة التي يجب ان تسود في المنظومة الدولية** | **النظام من الممكن ان يكون فوضويا ولكن يمكن التحكم به وتوجيهه وتنظيمه والسيطرة عليه .** |
| ٤ | **التعاون هو الأساس في المنظومة** | **التعاون هو الأساس ولكن احتماليات وقوع الصراع** |

| | | |
|---|---|---|
| | الدولية في تحقيق المصلحة | قائمة وممكنة لتحقيق المصلحة |
| ٥ | المنظمات الدولية هي المؤسسة المسؤولة والموجهة للنظام وقواعده | بنية النظام الدولي وهيكليته هي الأساس مع عدم إهمال دور الدولة في ذلك . |
| ٦ | المكاسب التي يمكن تحقيقها بين الوحدات الدولية مشتركة ومتساوية | المكاسب المتحققة نسبية بحسب واقع النظام وبنيته |
| ٧ | يُعد الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت و ريتشارد كويدن و جون هوبسون من ابرز الداعين الى المنهج المثالي او الليبرالي | من أبرز مفكري الليبرالية الجديدة روبرت كيوهاين وجوزيف ناي |

*الجدول من اعداد الباحث

**ثالثاً :- المنهج البنيوي (constructive methodology) في دراسة وتحليل التغيير والتحوّل في العلاقات بين الدول والنظام الدولي :-**

تعد النظرية البنيوية من النظريات الجديدة التي حاولت تفسير التغيّر في العلاقات بين الدول والتي قد تتسبب بالتحوّل في النظام الدولي، والبنائية " لغةً مشتقة من كلمة البناء او البُنية ، وبُنية الشيئ تعني تكوينه او الكيفية التي شُيّد عليها هذا البناء، والبناء الاجتماعي يُقصد به النسق العام وهو مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصره المتغيرة"[٢٦]، وترتكز هذه النظرية على فكرة أساسية مفادها ان العلاقات الدولية هي بناء اجتماعي[٢٧] ( social construction) ، ويقوم هذا البناء على بنية الأفكار المشتركة وليس على القوة المادية، ولذلك عدَّ البعض انَّ هذه النظرية هي نظرية تقوم على الفلسفة المثالية (ideal) وليس على الفلسفة المادية، ويُعَد الفيلسوف "ليفي شتراوس وميشيل فوكو وجاك لاكان ولويس التوسير من أشهر مفكري البنائية، حيث بدأت البنائية

(٢٦)عبد الوهاب جعفر،البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو،الإسكندرية:دار المعارف،١٩٨٩،ص ٢.
(٢٧)الكسندر ونت، النظرية الاجتماعية في العلاقات الدولية، ترجمة: عبدالله جبر صالح، الرياض، ص ٤٣٣.

بعلم اللغة في الانثروبولوجيا وعلم الفلسفة"[٢٨]، ومن ثم انتقلت استعماله الى المجالات الإنسانية–الاجتماعية الأخرى، ويُعَد (نيكولاس اونيف_ Nicholas .O.neif) أول من استعمل مصطلح البنائية في حقل العلاقات الدولية عام ١٩٨٩ ، ثم جاءت كتابات (الكسندر ونت ) في كتابه النظرية الاجتماعية للسياسات الدولية للتوسع في هذه النظرية او المقاربة لدراسة وتحليل العلاقات بين الدول والنظام الدولي .

لقد أشار بعض المفكرين الى ان البنائية هي مقاربة ( approach ) وليست نظرية( theory) [٢٩]، و بغض النظر عمّا اذا كانت البنائية هي نظرية او مقاربة ، فانها ترتكز على فكرة أساسية وهي انَّ الهوية او الثقافة هي التي تحدد مصلحة الدولة ، وان مصالح الدول تحددها هوياتها وليس العكس كما تذهب الى ذلك النظرية الواقعية ، وما دامت المصالح مرتبطة بالهويات او الثقافة فأن تغيّر الهويات او الثقافات يؤدي الى تغيّر المصالح أو بعبارة أكثر دقّة تتغير الرؤية الى المصالح ، ووفقا لذلك فانَّ العلاقات بين الدول بطبيعتها التصارعية أو التعاونية أو التنافسية أو التكاملية تحددها الأفكار المثالية القائمة على الهويات و ليس المصالح المادية ، وهذا ما أشار اليه الكسندر ونت حول توصيفه للفوضى بقوله ( الفوضى ما نفهمه نحن من الفوضى ) .

ترتكز المدرسة البنائية على ان فكرة أساسية وهي أنَّ دراسة و تحليل التغيّر في العلاقات بين الدول او التحوّل في النظام الدولي يتطلب دراسة الأفكار والهويات المتعددة والمتنوعة لتلك الوحدات الدولية [٣٠]، وانَّ الصراع والتعاون

(٢٨) عبد الوهاب جعفر، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣.

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٢.

(30) Stephen Mc Glinchy, Roise Waiters and Christian Scheinpflug,op.cit, p.36

و الحرب والسلام كله مرتبطاً بتلك الهويات ، و هذا الطرح يتوافق مع ما طرحه المفكر الأمريكي ( صموئيل هنتنغتون ) في كتابة صراع أو تصادم الحضارات ( clash of civilizations)[٣١] ، حيث أشار الى ان النظام الدولي يعاني من خطوط صدع ثقافية تتسبب بصراعات و تؤدي الى حالة عدم الاستقرار في النظام الدولي ، ووفقاً للمتبنيات الفكرية للمدرسة البنائية فأن التحوّل او التغيّر في العلاقات مابين الدول باشكالها المتعددة التصارعية والتنافسية والتعاونية و التكاملية تتطلب تغييرا او تحوّلاً مسبقاً في الأفكار و الهويات كأن تكون تصارعية تعاونية او تكاملية ، وبالاستناد الى هذه النظرية يمكن تحليل وتفسير الكثير من العلاقات مابين الدول و ماطرأت عليها من تحولات وتغيرات كالعلاقات بين فرنسا و المانيا بعد الحرب العالمية الثانية وقيام الاتحاد الأوربي القائم على التعاون او التكامل مابين تلك الدول بعد ان كانت تعيش في صراعات وحروب مدمرة ولقرون طويلة، كذلك يمكن تفسير التحول في العلاقات مابين الدول الأخرى خارج القارة الاوربية كالتحوّل في العلاقات مابين العراق و ايران بعد مدة من الصراع و الحرب التي شهدتها الحقب التاريخية ماقبل عام ٢٠٠٣، الى حالة من التعاون بعد عام ٢٠٠٣ ، و كذلك التعاون ما بين الولايات المتحدة الامريكية و دول أخرى كاستراليا وبريطانيا وغيرها من الدول ، فالاساس في التحوّل في تلك العلاقات – كما يشير أدوارد سعيد في تحليله لنظرية هنتنغتون – هي العنصر الثقافي او الحضاري المؤثر او المتسبب لتلك التحولات في العلاقات الدولية[٣٢].

---

**(٣١) ينظر: يحيى سعد عاقود، أطروحات فوكوياما وهنتنغتون والنظام العالمي الجديد :دراسة تحليلية مقارنة، الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ٢٠١٥، ص ١٧٤.**

**(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٣.**

الملاحظ ان كل تلك النظريات التي حاولت تفسير العلاقات بين الوحدات الدولية والتغيّر في النظام الدولي ، قد أجمعت على فكرة واحدة ، وهي سِمة حالة التغيّر او التحوّل في النظام الدول وعدم الثبات او الاستقرار او السكون ، وان تلك التغيرات والتحولات هي سمة دائمة وملازمة للنظام الدولي ، ولكن نقطة الاختلاف الجوهرية بين تلك النظريات هي تحديد المسببات الحقيقية لتلك التحولات ، وكيفية دراستها ومعرفتها وإمكانية التحكّم بها ، وكيفية توظيفها من قبل تلك الوحدات الدولية لتحقيق حالة التغيير بما يتلائم مع مصالحها ، ولاسيما الدول الغير قانعة او الغير راضية بتراتبيتها في ذلك النظام الدولي ، والتي يطلق عليها مصطلح الدول الطامحة او الدول الغير قانعة ، ووفقاً للمنهج او المقاربة البنائية – وكما يشير الكسندر ونت – فان[٣٣] " الثقافة هي الشرط الأساسي لفهم القوة والمصلحة ، ولذلك يجب تفسير المصلحة او القوة ابتداءً من تحليل الثقافة ثم صعودا الى المصلحة والقوة " وليس العكس كما تذهب المدرسة او المقاربة الواقعية .

وفقاُ لما تقدّم يمكننا ترتيب جدول لمقارنة أهم نقاط الاختلاف او التباين مابين النظريات الثلاث الأساسية التي حاولت تحليل او تفسير التغيّر في العلاقات بين الوحدات الدولية، وكذلك التحوّل في النظام الدولي، وهي النظرية الواقعية والمثالية والبنائية ، وكما يأتي :-

| ت | الواقعية Realist | المثالية Idealist | البنائية Construcive |
|---|---|---|---|
| ١ | **اصالةالطبيعة الشريرة للإنسان** | **أصالةالطبيعة الخيّرة للإنسان** | **تباين الثقافات بين المجتمعات التي سببها اختلاف الحضارات** |
| ٢ | **الفوضى هي السِمة الأساسية** | **التنظيم والمؤسسات هو السمة الأساسية** | **الفوضى او التنظيم هو ماتفهمه المجتمعات من تلك المصطلحات** |

**(٣٣) الكسندر ونت،مصدر سبق ذكره ، ص ٩١.**

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣ | الصراع متأصل هو الأساس | التعاون هو الأساس | التعاون او الصراع تحدده الهويات القائمة على الثقافات |
| ٤ | الدولة هي الأساس | المنظومة الدولية ( المؤسسات الدولية ) هي الأساس | الثقافات والحضارات هي الأساس |
| ٥ | طبيعة العلاقات متغيرة بتغير المصالح | طبيعة العلاقات تتوافق مع الأهداف الإنسانية القائمة على العدالة | العلاقات تتغير تبعا للتبدّل والتغير في الهويات الثقافية |
| ٦ | نظرية جزئية قائمة على الفلسفة المادية الواقعية | نظرية كلية قائمة على الفلسفة المثالية | نظرية تجزيئية قائمة على الأفكار والهويات ( الفلسفة المثالية وليست المادية ) |

*الجدول من إعداد الباحث

ويمكن الإشارة الى أهم نقاط الاختلاف مابين تلك النظريات الثلاث في دراسة التغيّر في العلاقات بين الدول وما يترتب على تلك التغيرات من تحولات في النظام الدولي من خلال الإشارة الى الاختلاف في المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ( dependent and independent variables)التي ترتكز عليها كل نظرية او مقاربة من تلك النظريات ، وهي أن المتغير المستقل وفقاً الى النظرية الواقعية هو المصلحة والقوة ، والمتغير التابع هو التفاعلات مابين الوحدات الدولية والتغيرات التي تشهدها تلك التفاعلات وانعكاساتها على النظام الدولي ، في حين ترى المدرسة الليبرالية او المثالية بان المتغير المستقل او المؤثر هو المؤسسات الدولية التي تسعى الى تنظيم وترتيب تلك التفاعلات والعلاقات بين الوحدات ، وان سلوك الدول يجب ان يكون متغيراً تابعا لتلك المؤسسات ، في حين ترى النظرية او المقاربة البنائية بان المتغير المستقل هو الثقافات او الهويات ، فهي التي تؤثر بشكل مباشر على سلوك وتفاعلات

الوحدات الدولية، في حين يكون واقع النظام الدولي وتفاعلاته وتغيراته وتحولاته متغيرا او متأثرا وفقا لتلك الهويات والثقافات.

**الخاتمة**

تُعد سِمة التغيير او التحوّل هي السِمة البارزة في النظام الدولي، وتتوضح تلك السمة من دوام حالة عدم الثبات او الاستقرار او السكون، كما ان تلك التغيرات والتحولات هي سمة دائمة وملازمة للنظام الدولي، وهذه السمة موضع اتفاق من قبل جميع – أو على الأقل معظم– المتخصصين في مجال الدراسات الدولية، وقد تعددت النظريات التي حاولت تفسير تلك التحولات والتغيرات في ذلك النظام ، وتبرز نقطة الاختلاف الجوهرية هنا في تحديد أي نظرية من بين تلك النظريات القادرة على تحديد المسببات الحقيقية لتلك التحولات ، وكيفية دراستها ومعرفتها وإمكانية التحكّم بها ، وكيفية توظيف تلك النظرية من قبل تلك الوحدات الدولية الكبرى أو الفاعلة أو المؤثرة لتحقيق حالة التغيير بما يتلائم مع مصالحها .

لقد شهد النظام الدولي تطورات مهمة، إذ لم تكن النظريات التقليدية كالمدرسة او النظرية الواقعية والليبرالية قادرة على دراسة وتحليل تلك التغيرات، ولذلك حاول المتخصصون في مجال العلاقات الدولية تطوير تلك المقاربات او النظريات من اجل مواكبة تلك النظريات او التغيرات التي شهدها النظام الدولي فبرزت اتجاهات متطورة وجديدة في تلك النظريات واطلق عليها الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة، وقد ظهرت هذه الاتجاهات الحديثة بسب إعتقاد عدد كثير من الباحثين بعدم إمكانية أي من المقاربتين الواقعية أو المثالية بإعطاء تحليل أو تفسير شامل للتغيير في العلاقات بين وحدات النظام الدولي ،

وكذلك التحوّل في النظام الدولي ، فضلاً عن الصعوبة البالغة في القدرة على التنبؤ بمستقبل ذلك النظام .

هناك أسباب كثيرة وراء التعدد والتنوع في تلك النظريات والمقاربات بعضها موضوعية تعود الى واقع النظام الدولي وما يشهده من تعقيد بالغ ، وبعض تلك الأسباب ذاتية ترتبط بالمفكرين وتوجهاتهم وبيئاتهم الفكرية ، وفي كل الأحوال فان تلك التعددية قد انعكست بصورة إيجابية وساعدت على إعطاء فهم أشمل و أوسع لدراسة طبيعة العلاقات بين الوحدات الدولية ، وواقع ومستقبل النظام الدولي ، وقد خلصت الدراسة الى عدد من الاستنتاجات ، يمكن الإشارة ليها وكما يأتي :-

١. يمكن الإشارة الى ان هناك نظريات متعددة قديمة وحديثة حاولت فهم وتفسير التفاعلات والتغيرات بين الوحدات الدولية ، وما ينعكس من طبيعة تلك التفاعلات على طبيعة النظام الدولي بصورة عامة وتحولاته .
٢. تعد المدرسة او النظرية الواقعية والنظرية الليبرالية من بين أهم النظريات التقليدية التي حاولت تفسير التغيرات في العلاقات الدولية والتحولات في النظام الدولي ، في حين تُعد النظرية او المقاربة البنائية من بين أهم النظريات الحديثة التي حاولت تفسير تلك العلاقات وتلك التحولات.
٣. ارتكزت المدرسة الواقعية على المصلحة والقوة ، في حين ارتكزت النظرية الليبرالية او المثالية على المؤسسات لتحقيق التعاون ، اما النظرية البنائية فقد ارتكزت على الهويات او الثقافات في تفسير تلك التحولات والتغيرات في العلاقات الدولية .

٤. هناك نظريات تقليدية تم تطويرها او تحويرها وفقا للتطورات التي شهدها النظام الدولي ، ولايمكن عدّها نظريات او مقاربات جديدة ، ومن أهمها الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة ، فهي تحديث او تطوير لبعض الأسس للنظريات التقليدية وليست نظريات حديثة .

٥. أصبحت النظرية البنائية تحظى بأهمية كبيرة في دراسة العلاقات بين الوحدات الدولية والتغييرات في تلك العلاقات ، فضلاً عن أهميتها في تفسير التحولات الكبرى التي شهدها النظام الدولي ما بعد عام ١٩٩١ ونهاية الصراع الذي شهده العالم وما سُمي بالحرب الباردة ، وكانت طروحات صموئيل هنتنغتون من بين تلك الطروحات الفكرية التي ارتكزت على تلك النظرية في دراسة وتحليل الظام الدولي .

٦. أن إجراء دراسات مقارنة لتلك النظريات الاساسية في مجال الدراسات الدولية ضروري جداُ في فهم وتحليل النظام الدولي وما شهده من تحولات أو تغيرات .

٧. وأخيرا ووفقا لما تشهده العلاقات بين الوحدات الدولية من تعقيد بالغ في نمط وطبيعة التفاعلات ، والتغيرات التي تشهدها تلك التفاعلات ، والتحولات التي من الممكن أن يشهدها النظام الدولي وفقا لتلك التغيرات ، فلم يعُد بالإمكان الاعتماد على نظرية أو مقاربة واحدة لفهم وتحليل تلك التحولات والتغيرات ، وانما من الأفضل توظيف كل تلك النظريات او المقاربات في دراسة وتحليل تلك التغيرات والتحولات .